

ظَاهِرَةُ النِّفَاقِ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

**Hypocrisy Phenomenon
in Macca in the Glorious Quran
before Hegira**

م.م. ابراهيم منير الموسوي

جامعة كربلاء . كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية

Asst. Lectu. Abraham M. Al-Moosawi

Department of Quranic Studies
College of Islamic Sciences
Karbala University

Musawi52@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

ظاهرة التفاف مكة كوجود حركي مصاد يعمل في داخل المجتمع الاسلامي، فان المجتمع مهدد بالانهيار اذا ما تغلب على ذلك الخطر. فقد كانوا يمثلون الجماعة التي تكيد للإسلام في العمق، لأنها لا تؤمن به في صميم العقيدة، ولكنها تعلن إسلامها في الظاهر ليكون ذلك غطاءً لها في تحركاتها التي تريد من خلالها أن تنفذ الى مواقع العصبية العائلية التي تحميها، وإلى مكامن العلاقات المتنوعة التي تحتضنها، لأن هنا ك فرقا بين الكيد الذي يتحوك في عناوين الكفر والكيد الذي يتحرك تحت عنوان الاسلام، فقد لا يسمح الاسلام للكافرين أن يتصرفوا ضد الاسلام بحرية، لأن الحاجز الديني الداخلي يدفع إلى الرفض السريع بطريقة لاشعورية، لأن الجو العام هو جو الصراع مع الكفر.

أما الذين يعلنون الاسلام في الظاهر، فانهم يملكون حق المسلم في حماية المجتمع له، مما يجعل من تصرفاته التي يقوم بها، أو الخلافات التي يثيرها، تصرفات فردية تدخل في نطاق المشاكل الداخلية الصغيرة بين المسلمين التي لا تترك أية خطورة على الواقع الاسلامي العام. وتحت هذا الغطاء يفتك هذا السرطان في المجتمع. فهم اصدقاء في الظاهر ولكنهم أعداء في الباطن، فخطرهم يفوق خطر باقي الاعداء، لخفائهم وعدم القدرة على تشخيصهم بسهولة هذا من جهة، ولكونهم أعداء يعيشون في داخل الجسم الاسلامي وربما ينفذون إلى قلبه نفوذاً يصعب معه فرزهم وتحديداهم من جهة أخرى. اعطى الله صفاتهم في عدة سور من القرآن الكريم

وحذر منهم، ونبه على أنهم الاعداء الواقعيون، قائلاً ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقين ٤].

هذا مانواجهه في الكثير من تجاربنا الاجتماعية أو السياسية في داخل الحركة الاسلامية العامة، في مواقفها الصلبة ضد الاستكبار العالمي المتصل بقواعد الكفر، فقد نجد الكثير ممن يحملون العنوان الاسلامي بطريقةٍ وبأخرى، يقفون وقفة النفاق التي تفتح أكثر من نافذةٍ على الاستكبار، لتنتقل من خلال خططه نحو الإضرار بالاسلام والمسلمين في مواقع الصراع الذي يخوضه ضد الكفروالاستكبار، في الوقت الذي ينطلقون في داخل المجتمع بعناوين اسلامية تمنحهم حرية الحركة، من خلال ما يملكونه من صفاتٍ رسميةٍ أو اجتماعيةٍ أو اقتصاديةٍ، مما يجعلهم فريسةً سهلةً لأجهزة المخابرات الدولية التي تحركهم كأدواتٍ تخريبية ضد سلامة الاتجاه الاسلامي الاصيل والمجتمع السليم. ولخطورة الموضوع بحثنا فيه درجان ومستويات النفاق في ثلاثة مطالب: الاول: معنى النفاق لغةً وأصطلاحاً، والثاني: متى بدأ النفاق؟ ومتى ظهر؟ وانه عكس ماهو مشهور بين المسلمين، والثالث: درجات ومستويات النفاق.

ABSTRACT

The hypocrisy phenomenon strikes the a community hard to perish if it never resists such people, it conspires against the community as they are detriment to Islam: they never believe in Islam, they are sanctimonious, yet people who believe in Islam should be protected by the community itself. It is hard to fathom the double faced people as they never manifest who they are; Allah in His Glorious Quran describe them in Sura Al.Manafaqeen, the Hippocratic ((they art the enemies .Be cognizant of them. The curse of Allah be on them how are they deluded!)) The current research study tackles such a locus through three sections: the first deals with the meaning of hypocrisy in linguistics and etymology, the second manipulates a question; when does hypocrisy start? it is not as much known among Muslims and the third surveys the ranks and levels of hypocrisy.

المطلب الاول

... معنى النفاق لغة ...

النفق الطريق النافذ، والسَّرْبُ في الارض النافذ فيه قال: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الانعام ٣٥] ومنه: نافقاً اليربوع، وقد نافق اليربوعُ، ونَفَقَ، ومنه: النفاقُ، وهو الدُّخُولُ في الشرع من بابٍ والخروجُ عنه من باب، وعلى ذلك نَبَّهَ بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة التوبة ٦٧] أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شرّاً مَنْ الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة النساء ١٤٥] (١).

نفق اليربوع تنفيقاً وناقق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنفاق، بالكسر، فعل المنافق، والنفاق: الدخول في الاسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع إسلامية، وقد نافق منافقة ونفاقاً، وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وماتصرف منه اسماً او فعلاً، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفاً، يقال: ناقق، يناقق، منافقة، ونفاقاً، وهو مأخوذ من النفاء لامن النفق وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره (٢).

(المنافق) في الاصل من مادة (نفق) على وزن (نفخ) بمعنى النفوذ والتسرب (ونفق) على وزن (شفق) أي القنوات والتجاويف التي تحدث في الارض وتستعمل للتخفي والتهرب والاستتار والفرار.

ان بعض الحيوانات كالذئب والحرباء والفأر الصحرراوي، تتخذ لها غارين: الاول واضح تدخل وتخرج منه بصورة مستمرة، والآخر غير واضح ومخفي تهرع إليه في ساعات الخطر ويسمى (النفقاء)^(٣). والمنافق هو الذي إختار طريقاً مشبوهاً ومخفياً لينفذ من خلاله إلى المجتمع ويهرب عند الخطر من طريق آخر.

معنى النفاق اصطلاحاً

قال ابن رجب: وهو في الشرع ينقسم الى قسمين: احدهما النفاق الاكبر، وهو، ان يظهر الانسان الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويطبق ما يناقض ذلك كله او بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم اهله وتكفيرهم، واخبر ان اهله في الدرك الاسفل من النار. الثاني: النفاق الاصغر، وهو نفاق العمل، وهو ان يظهر الانسان علانية صالحه، ويبطن خلافها^(٤). تعني لفظة النفاق اخفاء الكفر واطهار الايمان. جاء استعمال النفاق بهذا المعنى لأول مرة في القرآن، حيث ان العرب قبل الاسلام لم يستخدموه بهذا المعنى. وهو اسم لم يعرفه العرب بالمعنى المخصوص، وهو الذي يستر كفره ويظهر ايمانه^(٥).

فالنفاق الذي ذكره القرآن الكريم هو التظاهر بالاسلام، وفي الباطن يحمل الكفر. ويعبر عن هذا النفاق بالنفاق العقائدي، تبين الاية الاولى من سورة المنافقين هذا المعنى قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٦) والاية (٨٩) من سورة النساء تبين الحالة الباطنية للمنافقين بقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾^(٧) قال الواحدي: يقال: نافق الرجل فهو منافق إذا أظهر كلمة الإيمان وأضمر خلافها، والنفاق اسم إسلامي أختلف في اشتقاقه على وجوه:

الاول: قال أبو عبيدة: هو من نفاق اليربوع، وذلك لأن جحر اليربوع له بابان: القاصعاء والنفاق، فاذا طلب من أيهما كان خرج من الآخر فليل للمناقق أنه مناقق، لأنه وضع لنفسه طريقين، إظهار الاسلام وأضمار الكفر، فمن أيهما طلبته خرج من الآخر.

الثاني: قال ابن الأنباري: المناقق: من النفق وهو السرب، ومعناه أنه يتستر بالاسلام كما يتستر الرجل في السرب.

الثالث: أنه مأخوذ من النفاق، لكن على غير هذا الوجه الذي ذكره أبو عبيدة، وهو أن النفاق جحر يحفره اليربوع في داخل الارض، ثم إنه يرقق بها فوق الجحر، حتى إذا رابه ريب دفع التراب برأسه وخرج، فليل للمناقق مناقق لأنه يضم الكفر في باطنه، فاذا فتشته رمى عنه ذلك الكفر وتمسك بالاسلام.

المطلب الثاني

بداية مرحلة الصراع

لابد من الحديث عن المرحلة والتدرج التي مرت بها الدعوة الى الاسلام والتبليغ له، والتي سار عليها الرسول الاعظم ﷺ، وشدة الصراع بعد اعلان الدعوة المباركة ومواجهتها بالرفض والعناد من قبل طواغيت قريش، وهي المرحلة التي سبقت ظاهرة النفاق.

ان رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو الى توحيد الله عزوجل وعبادته والاقرار بنبوته، فكان إذا مرّ بملاً من قريش قالوا: إن فتى ابن عبد المطلب يُكَلِّمُ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى عَاب عَلَيْهِمْ آلَهُمْ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفّاراً، ثم أمره الله عزوجل أن يصدع بما أرسله، فأظهر أمره وأقام بالابطح فقال: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ادْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَا تَخْلُقُ وَلَا تَرزُقُ وَلَا تُحْيِي وَلَا تُمِيتُ»، فأستهزأت منه قريش وأذته^(٨). فكانت المفاخأة التاريخية الكبرى، والعمل الاعلامي المذهل، الذي ملأ نوادي قريش وأحاديث العرب واجتماعاتها، فلفت الانظار إلى تلك الدعوة، واستقطب الاهتمام والرأي العام باتجاه هذه الانطلاقة التوحيدية الرائدة.

لقد شعرت قريش بتحدي محمد ﷺ وانطلاق دعوته، انها العاصفة والندير وبداية الانقلاب والتغيير، فما عسى قريش أن تفعل وتشعر بالخطر على مصالحها وطغيانها؟ إذن فليبدأ الصراع.

وهكذا بدأت مرحلة الصراع، وتحركت قريش لتقف بوجه الاسلام ودعائه، وتتصدى لمحمد ﷺ بكل أسلوب وقوة تملكها، فاحتلت المواجهة مساحات واسعة واستخدمت قريش كل وسائل الاسقاط والصراع، ومنها:

١. الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ

كانت بداية الهجوم على النبي ﷺ هي الحرب النفسية التي تمثلت بالسخرية والاستهزاء والاستخفاف وتوجيه الكلمات المثيرة، وكان القرآن قد تحدث عن هذا الاسلوب المشين، وحصّن نبيه ﷺ والذين امنوا معه، ووفر لهم المناعة النفسية، حين تعهد له بان يكفيه المستهزئين، يوم أمره بإعلان الدعوة الى الاسلام^(٩)، وتحدي الطواغيت فقال له: ﴿فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(١٠).

ان طبيعة ذلك الصراع، لا يمكن أن تحسمه كلمة مستهزيء أو ضغط نفسي أو إشاعة مزيفة، أو تطويق دعائي، إنه القضية الكبرى في تاريخ الانسان، أنها الهدى ورسالة التغيير وأمل المستضعفين في الارض. فبدأت مرحلة جديدة من المواجهة.

٢. صور من محنة الرساليين

وقد تصاعدت المحنة واشد أذى قريش، فاستخدمت أساليب الارهاب والتعذيب، ومع كل ذلك ف (محمد ﷺ) والذين معه أشداء أقوياء لاتزعزهم وسائل الارهاب، ولاتثنيهم وحشية التعذيب، وهذا ابن الاثير يحدثننا عن تعذيب المستضعفين بقوله: «وهم الذين سبقوا الى الاسلام ولاعشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم يُمنعون بها، فاما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار اليه، فلما رأوا امتناع من

له عشيرة وثبتت كل قبيلة على مَنْ فيها من مستضعفي المسلمين فجعلوا يجسسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ليفتنونهم عن دينهم، فمنهم مَنْ يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالايان، ومنهم مَنْ يتصلب في دينه ويعصمه الله منهم»^(١١).

ان قراءة تحليلية فاحصة في أسماء الذين عذبوا من الرجال والنساء تكشف لنا ان الذين سارعوا الى الدخول في الاسلام هم المستضعفون والعبيد لما وجدوا فيه من حرية وكرامة ودعوة للهدى والرشاد، كما سارعت المرأة الى التصديق بالرسالة والمشاركة في الجهاد والثبات.

لقد أطلع أميّه بن خلف على اسلام (بلال بن رباح الحبشي)، فراح يعذبه باشد الوان التعذيب «فكانت اذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقى في الرمضاء على وجهه وظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره» ويستمر أمية في تعذيب بلال، ويستمر بلال على صموده وتحديه للطغاة بعقيدة ثابتة وارادة قوية، فينادي «احد احد»^(١٢).

وقد انكشف اسلام حليف بني مخزوم (ياسر وابنه عمار وزوجته سمية) «فكانوا يخرجون عماراً واباه وامّه الى الابطح اذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء، فمر بهم النبي ﷺ فقال: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» فمات ياسر في العذاب، وشدت العذاب على عمار بالحرّارة، وبوضع الصخر على صدره أخرى وبالتغريق أخرى»^(١٣). ويُعَذَّبُ (حَبَاب بن الارث التميمي)، وكان أبوه من السبايا الذين بيعوا في مكة، وهو من المسلمين الاوائل الذين بادروا الى التصديق بمحمد ﷺ: «فأخذه الكفار وعذبه عذاباً شديداً، فكانوا يُعَرِّونَه ويُلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرّصف - وهي الحجارة المحماة بالنار - ولووا رأسه، فلم يُجِبهُم الى شيء مما ارادوا

منه»^(١٤). ومن الذين عُدُّوا واوذوا في الله هو صهيب بن سنان الرومي وعامر بن فهيرة وابو فكيهة^(١٥) وغيرهم والقائمة تطول بذكر اسمائهم وانواع تعذيبهم.

دور المرأة الرسالية

وقد شاركت المرأة الرسالية أخيها الرجل في الصمود والثبات على العقيدة امام تعذيب وظلم الطغاة الكافرين، فهذه (سمية زوجة ياسر وام عمار) «اغلظت بالقول لابي جهل، فطعننها في قُبَلِها بحرية في يده فقتلها، فهي أول شهيدة في الاسلام»^(١٦). وتلك (النهدية) مولاة لبني نهد التي امتلكتها فيما بعد امرأة من بني عبد الدار وكانت تُنزل بها أشد العذاب، وتقول لها «لاترك عذابك حتى يشترك بعض اصحاب محمد» فيشتريها أحدهم ويُعتقها من العبودية»^(١٧). وهذه (لبية) جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي بن كعب، يُنزل بها العذاب عمر بن الخطاب (قبل اسلامه)^(١٨) أشد الوان العذاب ثم يتركها، ويقول لها: «إني لم أدعك إلا سامة، فتقول له: كذلك يفعل الله بك»^(١٩). (وزيرة): المرأة التي فقدت عينيها بالتعذيب، كانت مملوكة لبني عدي اولبني مخزوم، فكان عمر بن الخطاب يُعذِّبها، أو كان ابو جهل هو الذي يمارس التعذيب الوحشي معها، لقد رد الله عليها بصرها، فقال المشركون هذا من سحر محمد ﷺ^(٢٠). نكتفي بهذه الصور من تلك الملحمة الخالدة التي انتصرت فيها الارادة الحرة، وكلمة التوحيد، وقيم الهدى، على الارهاب والتعذيب والخرافة.

٣. اول هجرة في الاسلام

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عزوجل، وعمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي

ارض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله ﷺ إلى ارض الحبشة مخافة الفتنة، وفرار الى الله بدينهم، فكانت اول هجرة في الاسلام (٢١).

وهنا ترد ملاحظة على قول القائلين: بان المعذبين من الذين سارعوا في الدخول في الاسلام الحنيف هم من المستضعفين والذين ليس لهم عشائر تمنعهم اوقوة تحوطهم فامرهم الرسول ﷺ بالهجرة حتى يجعل الله لهم فرجاً، ولكن نرى بعض المهاجرين ممن لهم قوة وعشيرة تمنعهم من المشركين مثل جعفر بن ابي طالب ؑ فهو ابن شيخ الابطح وزعيم بني هاشم وهم اشراف قريش وهو مقدماً مجاهداً شجاعاً، قائداً فذاً، فلماذا هاجر مع المستضعفين؟ الجواب: اراد الرسول ﷺ من الهجرة ان تؤدي ادواراً:

الاول: هو حماية المستضعفين وهذا هو الظاهر.

الثاني: وهو المهم ان النبي ﷺ يريد ان تكون دعوته انسانية عالمية، لا تختص بعرب مكة والحجاز. فأراد لها التوسع والانتشار، وتعتبر: ان هجرة هؤلاء الى الحبشة لم تكن متمحضة في الهروب من التعذيب، لان الكثيرين من اولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب وكانوا فيهم من مختلف القبائل المكية ايضاً.

الثالث: ان خروج الرساليين من تحت سلطة قريش وغيرها من المشركين، سوف يجعلها امام مواجهة شاملة، وأن مصالحها في معرض التهديد والبور.

ولهذا اهتمت قريش بشأن المهاجرين وارسلت الوفد وهو محمل بالهدايا النفيسة الى النجاشي والى من يحوط به من الاحباش وهم احوج اليها من النجاشي والاحباش (٢٢).

٤. الحصار والمقاطعة

بعد سنين من الكفاح والمواجهة رأيت قريش ان النبي ﷺ مصر على دعوته وأن وسائل الارهاب والتعذيب والحرب النفسية والدعائية قد فشلت كلها، وأن أبا طالب ومعه بنو هاشم مازالوا يقفون بكل قوّة وصلابة الى جانب محمد ﷺ والاساليب كلها فشلت في مواجهة الدعوة وتحجيم مساحتها، ولم يجد الطواغيت غير أسلوب الحصار الاقتصادي والمقاطعة الاجتماعية، فاجتمع زعماء قريش وقرروا ان يقاطعوا أبا طالب وبنو هاشم ومحمداً ﷺ، مقاطعة اقتصادية واجتماعية، ويكتبون عهداً بذلك، فكتبوا صحيفة العهد الظالم هذا «وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة خلال محرّم سنة سبع من النبوة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش» (٢٣).

واستمر ذلك الحصار الظالم وطال حتى انفق ابو طالب ﷺ ماله، كما أنفقت خديجة ﷺ المرأة الثرية أموالها الطائلة في هذا الحصار والمقاطعة الاقتصادية، وأشدت خلاله الخطب على المسلمين وراحوا يعانون الجوع والاذى وياكلون نباتات الارض، ولم يصل اليهم شيء من الطعام لمدة تقرب من ثلاث سنوات. وحين اشتد العسر والاذى، وصبر المسلمون، جاء الفرج واليسر، وتدخّل النصر الإلهي، فارسل (حشرة الأرضة) فاكلت كل ما كتبت فيها عدا ما كان اسم الله سبحانه، فهبط جبريل ﷺ واخبر النبي ﷺ بذلك.

تلقى النبي ﷺ هذا النصر الإلهي العظيم، والمعجزة الدامغة على صدق نبوته وأطلّعه على بعض الغيب، وتأييد الله له، فأخبر عمه ابا طالب واطلعه على ما حدث للصحيفة الظلمة، فتوجه ابوطالب الى البيت الحرام ليحدث طواغيت قريش بما اخبر به رب العزة، وعندما رأوا الصحيفة بهت الطغاة، واستولى عليهم الصلف،

وأخذتهم العزة بالأثم، وكبر عليهم التسليم لهذه المعجزة التي أسقطت الحصار، وأعطت دليلاً معجزاً على صدق النبوة والدعوة، فقالوا: «ما هذا إلا سحر، وما كنا قط أجدّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه»^(٢٤). واسلم أناس كثيرون وصدّقوا هذه المعجزة الخالدة، وفكّ الحصار وسقطت المؤامرة وخرج النبي ﷺ ومن معه من الشُّعبِ أعزّة مُتصرين^(٢٥).

متى بدأت ظاهرة النفاق؟

بعد هذا الاستعراض المختصر لما مر به الرسول والرسالة والرساليين من محاولات لأجهاضها والقضاء عليها، وبعد فشل كل هذه محاولات والدسائس من الطغاة الكفرة، فاوحت اليهم شياطينهم ان يقوموا بدورين مهين:

الاول: التصعيد في المواجهة

بحيث اصبح المقام صعباً في مكة، والصراع ضارياً بين الرسول ﷺ واصحابه من جهة، وبين مشركي مكة وقادة الشرك والجاهلية من جهة اخرى، والرسول مُصرّاً على حمل الرسالة والاستمرار بالدعوة الى الله سبحانه، وهدم حصون الشرك ورموز الجاهلية، وأصتتصال جذورها العقيدية والاخلاقية والاجتماعية، لبناء الانسان الجديد والمجتمع الاسلامي السعيد.

الثاني: وهو المهم وهو اختراق الدعوة المباركة بواسطة المنافقين

ومن هنا بدأ النفاق حيث: قامت قريش بدس من تثق بولائهم واخلاصهم لطواغيتها وغلظتهم وقساوة قلوبهم واعراضهم عن الدين الحنيف وبغضهم للرسول الاكرم خاصة وبني هاشم عامة، وامروهم بان يظهروا الاسلام ويدخلوا

في صفوف المسلمين، لهدم وتحطيم الدعوة من الداخل ولو بعد حين، وهذا كان في مكة قبل الهجرة، وأشار القرآن الكريم لذلك في سورتي المدثر والعنكبوت وكلاهما مكيتين، وهذا ردٌ صريح على من يدعي ان النفاق بدأ بعد الهجرة في المدينة المنورة واليك الأدلة الواضحة من القرآن الكريم:

١ . سورة المدثر المكية: قال تعالى: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^(٢٦). وقد فسر أهل العلم والتفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالشك والجحود والنفاق وفسروا الكافرين بالمتظاهرين بالكفر من المشركين وغيرهم^(٢٧).

وأما حديث حدوث النفاق بالمدينة فقد اصر عليه بعضهم محتجاً بان النبي ﷺ والمسلمين لم يكونوا قبل الهجرة من القوة ونفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهابهم الناس او يرحى منهم خير حتى يتقوهم ويظهروا لهم الايمان ويلحقوا بجمعهم مع إبطان الكفر وهذا بخلاف حالهم بالمدينة بعد الهجرة. والحجة غير تامة، فان علل النفاق ليست تنحصر في المخافة والاتقاء او الاستدرار من خير معجل فمن علله الطمع ولو نفع مؤجل ومنها العصبية والحمية ومنها استقرار العادة ومنها غير ذلك، ولا دليل على انتفاء جميع هذه العلل عن جميع من آمن بالنبي ﷺ بمكة قبل الهجرة وقد نقل عن بعضهم أنه آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح^(٢٨).

﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ اللام: هنا لام العاقبة أي عاقبة أمر هولاء أن يقولوا هذا يعني المنافقين والكافرين^(٢٩). ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من المنافقين الذين يعتمدون سياسة الارجاف وأثارة الشكوك في المجتمع المسلم ليزيدوه خيرةً وإرباكاً، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ الذين ركزوا موقفهم على الانكار من دون حجة، لانهم

انطلقوا من مواقع العناد التي تعمل على اسقاط الموقف بمختلف الوسائل الموجودة عندهم، ولذلك فإن ردّ الفعل لديهم هو أنهم بدأوا يقولون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ﴾ همهم إثارة الكلمات لا الاستفهام، والتحقير لا المعرفة، إنهم يتساءلون بخبث كيف يمكن لهؤلاء الخزنة ان يكونوا بهذا العدد القليل الذي لا يمكن له ان يقوم بتعذيب الجن والإنس كما يقول النبي ﷺ .

وهكذا كان هولاء الذين عاشوا الغفلة عن الحق، وتحركوا في مشاعر الخبث، وانطلقوا في اجواء العبث الفكري الذي يواجه الحقائق بمنطق السخرية واللامبالاة، الامر الذي ادى الى ضلالهم، في الوقت الذي يواجه فيه المؤمنون الحقائق الدينية بالفكر والتأمل، فيهدتدون بذلك، لانهم أخذوا باسباب الهدى.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾ له الضلالة من خلال اختياره للأخذ بأسبابه، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ له الهدى عندما يختار لنفسه من أسباب الهدى الى الله بالمعنى الذي لا يمنع من الاختيار، لأن النسبة لاتنطلق من طبيعة القوانين التي جعلها الله للأشياء من خلال الرابط بين الاسباب ومسبباتها، بما جعل فيه السبب بيد الانسان واختياره (٣٠).

جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إنهم الكافرون وذكر الحسين بن الفضل البجلي أن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية ليس بمعنى النفاق. والجواب: قول المفسرين حق وذلك لأنه كان في معلوم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبر عما سيكون، وعلى هذا تصوير هذه الاية معجزة، لأنه إخبار عن غيب سيقع، وقد وقع على وفق الخبر فيكون معجزاً، ويجوز أيضاً أن يراد بالمرض الشك لأن اهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب. - وهذا الكلام غير تام كما ذكرنا، لأنه لا يمنع من دخول البعض

من هولاء الشاكين او القاطعين بالكذب في هذه الدين الجديد ليشكل الطابور الخامس لتحقيق مأربه وطموحات اسياده ولو بعد حين.

٢. سورة العنكبوت المكية: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ إِذَا أُوذِيَ

فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾^(٣١). ذكر المنافقين فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾

بلسانه ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي: في دين الله، أو في ذات الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ والمعنى فإذا أُوذِيَ بسبب دين الله، رجع عن الدين مخافة عذاب

الناس، كما ينبغي للكافر أن يترك دينه مخافة عذاب الله، فيسوي بين عذاب

فانٍ منقطع، وبين عذاب دائم غير منقطع ابداً، لقلته تمييزه. وسمى أذية الناس

فتنة لما في احتمالها من المشقة، ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يا محمد، أي: ولئن

جاء نصر من الله للمؤمنين، ودولة لأولياء الله على الكافرين ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا

مَعَكُمْ﴾ أي: ليقولن هولاء المنافقين للمؤمنين: إنا كنا معكم على عدوكم طمعاً

في الغنيمة. ثم كذبهم الله فقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾

من الايمان والنفاق، فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا. ثم أقسم سبحانه فقال:

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله على الحقيقة ظاهراً وباطناً ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ

الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازيهم بحسب اعمالهم. قال الجبائي: معناه وليميزن الله المؤمن

من المنافق، فوضع العلم موضع التمييز توسعاً، وقد مر بيانه. وفي هذه الآية

تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التي أستهزؤا بها، وتوهموا أنهم قد

نجوا من ضررها بإخفائها، فبين أنها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها، وأنه

يحل الفضيحة العظمى بها^(٣٢). قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ

الْمُنَافِقِينَ﴾ من تنمة الكلام في الآية السابقة والمحصل أن الله مع ذلك يميز بين

المؤمن والمنافق بالفتنة والامتحان. وفي الآية اشارة الى كون هؤلاء منافقين وذلك لكون إيمانهم مقيداً بعدم الفتنة وهم يظهرونه مطلقاً غير مقيد والفتنة سنة الهية جارية لامعدل عنها.

وقد أستدل بالآيتين على أن السورة أوخصوص الآيات مدنية وذلك أن الآية تتحدث عن النفاق والنفاق إنما ظهر بالمدينة بعد الهجرة وأما مكة قبل الهجرة فلم يكن للأسلام فيها شوكة وللمسلمين فيها إلا الذلة والاهانة والشدة والفتنة ولالنبوي ﷺ في المجتمع العربي يومئذ وخاصة عند قريش عزة ولامنزلة فلم يكن لأحد منهم داع يدعو الى أن يتظاهر بالأيان وهو ينوي الكفر. على ان قوله في الآية: ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ يخبر عن النصر وهو الفتح والغنيمة وقد كان ذلك بالمدينة دون مكة. نظير الآيتين في قوله السابق: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ ضرورة أن الجهاد والقتال إنما كان بالمدينة بعد الهجرة. وهذا خلاف الواقع: أما حديث النفاق فالذي جعل في الآية ملاكاً للنفاق وهو قولهم: آمننا بالله حتى إذا أذوا في الله رجعوا عن قولهم كان جائز التحقق في مكة كما في غيرها وهو ظاهر بل الذي ذكر من الأيذاء والفتنة إنما كان بمكة فلم تكن في المدينة بعد الهجرة فتنة. وأما حديث النصر فالنصر غير منحصر في الفتح والغنيمة فله مصاديق اخرى يفرج الله بها عن عباده.

على أن الآية لا تخبر عنه بما يدل على التحقق فقوله: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ يدل على تحقق الإيذاء والفتنة حيث عبر بإذا الدالة على تحقق الوقوع بخلاف مجيء النصر حيث عبر عنه بإن الشرطية الدالة على إمكان الوقوع دون تحققه. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ فقد اتضح مما تقدم أن المراد به جهاد النفس دون مقاتلة

الكفار فالحق أن لادلالة في شيء من الايات على كون السورة او بعضها مدنية^(٣٣). وقال الزمخشري المعتزلي: «سورة العنكبوت مكية وهي تسع وتسعون اية» وقال في تفسير الايات الخاص بالمنافقين: «هم ناسٌ كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا مسَّهم أذى من الكفار، وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفاً لهم عن الايمان، كما أن عذاب الله صارفٌ للمؤمنين عن الكفر، أو كما يجب أن يكونَ عذابُ الله صارفاً»^(٣٤). وقال الفخر الرازي ومَن ماثله: «سورة العنكبوت مكية وقيل نزلت من أولها الى عشر بمكة وباقيها بالمدينة أو نزل إلى آخر العشر بالمدينة وباقيها بمكة بالعكس، وهي سبعون أو تسع وستون اية»^(٣٥) وهذه المدرسة تتبنا عدم وجود للنفاق بمكة ولا اعلم لماذا هذا الاصرار على مخالفة النص القرآني.

المشهور بين جمع من المحققين أن جميع آيات هذه السورة نازلة بمكة، فيكون محتواها منسجماً مع محتوى السور المكية^(٣٦). اذ ورد فيها الكلام على المبدأ والمعاد، وقيام الانبياء السابقين العظام، ووقوفهم بوجه المشركين وعبدة الاصنام والجبابة والظالمين، وانتصارهم وانهمزام هذه الجماعة الظالمة، وكذلك تتحدث هذه السورة عن الدعوة الى الحق والامتحان الالهي للبشر، وذرائع الكفار في مجالات مختلفة. غير أن جماعة من الفسرين يرون بأن إحدى عشرة آية منها نازلة بالمدينة، وهي الآيات الأولى من السورة^(٣٧)، ولعل ذلك - كما سنرى - ناتج عن سبب نزول بعض الآيات التي تتحدث عن الجهاد، والاشارة إلى موضوع المنافقين، وهذا مايناسب السور المدنية! ولكن سنرى بعدئذ أن هذه الأمور لاتنافي كون السورة مكية^(٣٧). والتعبير بـ ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ معناه أُوذِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أي انهم قديتعرض لهم العدو - احياناً - وهم في سبيل الله والايان فيؤذيههم. الطريف هنا أن القرآن يعبر عن مجازات الله بـ (العذاب) وعن أيداء الناس بـ (الفتنة) وهذا التعبير أشارة إلى أن أيداء الناس ليس عذاباً - في حقيقة الامر - بل هو امتحان وطريق الى التكامل. وبهذا فان القرآن

يعلمهم أن لا يقايسوا بين هذين النوعين (العذاب) و (الايذاء) ولا ينبغي أن يتصلوا من (الايان) بحجة أن المشركين والمخالفين يؤذيهم فان هذا الايذاء جزء من منهج الامتحان الكلي في هذه الدنيا.

وهنا ينقدح سؤال وهو: أي نصر جعله الله حليف المسلمين ونصيبهم، ليدعي المنافقون أنهم شركاء في هذا النصر مع المسلمين؟ ونقول في الجواب: في إن الجملة الآنفة الذكر جاءت بصيغة (الشرط) ونعلم أن الجملة الشرطية لادليل فيها على وجود الشرط، بل مفهومها هو أنه لو اتفق أن كان النصر حليفكم في المستقبل، فإن هؤلاء المنافقين -ضعاف الايمان- يرون أنفسهم شركاء في هذا النصر! إضافة الى كل ذلك فإن المسلمين في مكة كانت لهم انتصارات في التبليغ و (الاعلام) ونفوذ في الافكار العامة وتوغّل الاسلام في طبقات المجتمع.

ثم بعد هذا كله فإن التعبير بالايذاء مناسب لمحيط مكة... وإلا فقل أن أنفق مثل هذا الإيذاء في محيط المدينة. وقد تنور واتضح -ضمناً- هذا الموضوع الدقيق، وهو ان التعبير بالمنافق لا يختص بمن ليس في قلبه ايمان اطلاقاً ويدعي الايمان، بل الافراد من ضعاف الايمان الذين تراجعوا عن عقيدتهم نتيجة الضغوط والتأثيرات بفلان وفلان فهؤلاء أيضاً يعدون من المنافقين... والاية محل البحث -كما يظهر- تتحدث عن هذا النوع من المنافقين، وتصرح بأن الله مطلع على نياتهم وعليم بسرائرهم. وفي الاية التالية -لمزيد التأكيد- يضيف القرآن قائلاً ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾. فلوا تصوروا أنهم إذا أخفوا الحقائق فإنهم سيكونون في منأى عن علم الله فهم في خطأ كبير جداً.

ونكررها مرة أخرى أن التعبير بالمنافقين ليس دليلاً على أن هذه الايات نزلت في المدينة، صحيح أن مسألة النفاق تقع عادة بعد انتصار جماعة والاستيلاء على

الحكومة... حيث غير المخالفون أقتعتهم ويعملون في الخفاء حينئذٍ، إلا أن للنفاق - كما قلنا - معنى واسع، يشمل حتى الأفراد ضعاف الايمان الذين يبدلون عقيدتهم لأدنى مكروه يصيبهم. (٣٨)

حركة النفاق بدأت في مكة

ومن هنا ذكر بعضهم أن حركة النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينة واستمرت الى قرب وفاة النبي ﷺ. هذا ما ذكره جمع منهم ولكن التدبر في حوادث زمن النبي ﷺ والإمعان في الفتن الواقعة بعد الهجرة والاعتناء بطبيعة الاجتماع الفاعلة يقضي عليه بالنظر:

أولاً: فلا دليل مقنعاً على عدم تسرب النفاق في متبعي النبي ﷺ المؤمنين بمكة قبل الهجرة، وقول القائل: إن النبي ﷺ والمسلمين بمكة قبل الهجرة لم يكونوا من القوة ونفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهاهم الناس ويتقوهم أو يرجوا منهم خيراً حتى يظهروا لهم الايمان ظاهراً ويتقربوا منهم بالإسلام، وهم مضطهدون مفتونون معذبون بأيدي صناديد قريش ومشركي مكة المعادين لهم المعاندين للحق بخلاف حال النبي ﷺ بالمدينة بعد الهجرة فإنه ﷺ هاجر اليها وقد كسب أنصاراً من الاوس والخزرج واستوثق من أقوياء رجالهم أن يدفعوا عنه كما يدفعون عن انفسهم وأهلبيهم، وقد دخل الإسلام في بيوت عامتهم فكان مستظهِراً بهم على العدة القليلة الذين لم يؤمنوا به وبقوا على شركهم ولم يكن يسعهم ان يعلنوا مخالفتهم ويظهروا شركهم فتوقوا الشر بإظهار الاسلام فامنوا به ظاهراً وهم على كفرهم باطناً فسدوا الدسائس ومكروا ما مكروا.

غير تام: فما القدرة والقوة المخالفة المهيبة ورجاء الخير بالفعل والاستدرار المعجل علة منحصرة للنفاق حتى يحكم بانتفاء النفاق لانتفائها فكثيراً ما نجد في المجتمعات رجالاً يتبعون كل داع ويتجمعون إلى كل ناعق ولا يعبئون بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطاحنة، ويعيشون على خطر مصرين على ذلك رجاء ان يوفقوا يوماً لإجراء مرامهم ويتحكموا على الناس باستقلالهم بإدارة رحى المجتمع والعلو في الارض وقد كان النبي ﷺ يذكر في دعوته لقومه أن لو آمنوا به واتبعوه كانوا ملوك الأرض.

فمن الجائر عقلاً أن يكون بعض من آمن به يتبعه في ظاهر دينه طمعاً في البلوغ بذلك إلى أمنيته وهي التقدم والرئاسة والاستعلاء، والاثر المترتب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الامور وتربص الدوائر على الاسلام والمسلمين وإفساد المجتمع الديني بل تقويته بما أمكن وتفديته بالمال والجاه ليتنظم بذلك الامور ويتهيأ لاستفادته منه واستدراجه لنفع شخصه. نعم يمكر مثل هذا المنافق بالمخالفة والمضادة فيما إذا لاح من الدين مثلاً ما يخالف أمنية تقدمه وتسلطه إرجاعاً للامر إلى سبيل ينتهي إلى غرضه الفاسد^(٣٩).

وأيضاً من الممكن أن يكون بعض المسلمين يرتاب في دينه فيرتد ويكتم ارتداده كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآية، وكما يظهر من لحن مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾^(٤٠). وايضاً الذين آمنوا من مشركي مكة يوم الفتح لا يؤمن أكثرهم أن لا يؤمنوا إيمان صدق وإخلاص ومن البديهي عند من تدبر في حوادث سني الدعوة أن كفار مكة وما والاها وخاصة صنايد قريش ما كانوا ليؤمنوا بالنبي ﷺ لولا سواد جنود غشيتهم وبريق سيوف مسلطة فوق رؤسهم يوم الفتح وكيف يمكن مع ذلك القضاء بأنه

حدث في قلوبهم والظرف هذا الظرف نور الايمان وفي نفوسهم الاخلاص واليقين فآمنوا بالله طوعاً عن آخرهم ولم يدب فيهم ديب النفاق أصلاً.

ثانياً: فلأن استمرار النفاق إلى قرب رحلة النبي ﷺ وأنقطاعه عند ذلك ممنوع، نعم انقطع الخبر عن المنافقين بالرحلة وانعقاد الخلافة وانمحي أثرهم فلم يظهر منهم ما كان يظهر من الآثار المضادة والمكائد والدسائس المشؤمة. فهل كان ذلك لأن المنافقين وفقوا للاسلام وأخلصوا الايمان عن اخرهم برحلة النبي ﷺ؟ وتأثرت قلوبهم من موته ما لم يتأثر بحياته؟ أو أنهم صالحوا أولياء الحكومة الإسلامية على ترك المزاحمة بأن يسمح لهم ما فيه أمنيتهم مصالحة سرية بعد الرحلة أو قبلها؟ أو أنه وقع هناك تصالح اتفاقي بينهم وبين المسلمين فوردوا جميعاً في مشرعة سواء فارتفع التصاك والتصادم؟ ولعل التدبر الكافي في حوادث آخر عهد النبي ﷺ والفتن الواقعة بعد رحلته يهدي إلى الحصول على جواب شافٍ لهذه الأسئلة^(٤٠). وبهذا ثبت ان النفاق بداء مع البدايات الرسالة وواكبها منذ نشوئها في مكة وكان لأسباب متعددة مر ذكر بعضها، والان نتحدث عن موضوع ظهور النفاق.

متى ظهر دور المنافق؟

حينما تندلع الثورة في منطقة معينة، فإن مصالح الفئة الظالمة الناهبة المستبدة تتعرض للخطر حتماً، خاصة إذا كانت الثورة مثل ثورة الاسلام تقوم على أساس الحق والعدالة. هذه الفئة تسعى للأطاحة بالثورة عن طريق السخرية والاستهزاء أولاً، ثم بالاستفادة من القوة المسلحة والضغط الاقتصادي، والتضليل الاجتماعي. وحين تبدو في الافق علامات الانتصار أنتصار الثورة، تعتمد فئة من المعارضين الى تغيير موقفها، فتستسلم ظاهرياً، وتتحول في الواقع إلى مجموعة معارضة سرية.

هولاء يسمون بـ (المنافقين) لأنطوائهم على شخصيتين مختلفتين «المنافق مشتقة من النفق: وهو الطريق النافذ في الارض المحفور فيها للإستتار أو الفرار» وهم اخطر أعداء الثورة، لأن مواقفهم غير واضحة، والأمة الثائرة لاتستطيع أن تعرفهم وتطردهم من صفوفها، لذلك يتغلغلون في صفوف الناس المخلصين الطيبين، ويتسلمون أحياناً المناصب الحساسة في المجتمع.

ثورة الاسلام في عصرها الاوّل واجهت مثل هذه المجموعة. فبعد الهجرة المباركة وضعت أول لبنة للدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وازداد الكيان الاسلامي الوليد قوة بعد إنتصار المسلمين في غزوة بدر. وهذه الأنتصارات عرضت للخطر مصالح زعماء المدينة، وخاصة اليهود منهم، لأن اليهود كانوا يتمتعون في المدينة بمكانة ثقافية واقتصادية مرموقة. وهولاء أنفسهم كانوا يبشّرون قبل البعثة النبوية المباركة بظهور النبي. كما كان في المدينة أفراد مرشحون للزعامة والملكية، لكن الهجرة النبوية بددت آمال هولاء المتضررون من الدعوة رأوا أن الجماهير تندفع نحو الاسلام، وتنقاد الى النبي الخاتم ﷺ حتى عمّت الدعوة ذويهم وأقاربهم.

وبعد مدّة من الدين الجديد، لم يروا بدأً من الاستسلام والتظاهر بالاسلام، تجنباً لمزيد من الأخطار الإقتصادية والاجتماعية وحذراً من الإبادة، خاصة وأن قوة العربي تتمثل في قبيلته، والكثير من القبائل أسلمت للدين الجديد لكن هولاء راحوا يخططون خفية للإطاحة بالاسلام. بعبارة موجزة، إن ظاهرة (النفاق) في المجتمع، تعود إلى عاملين: أحدهما، إنتصار الثورة وسيطرة الرسالة الثورية على المجتمع، والآخر: انهزام المعارضين نفسياً، وفقدانهم للشجاعة الكافية لمواجهة المدّ الجديد، وضرارهم الى الاستسلام الظاهري أمام الدعوة^(٤١).

يهتم القرآن بأمر المنافقين اهتماماً ويكرّر عليهم كرة عنيقة بذكر مساوي أخلاقهم وأكاذيبهم وخدائعهم ودسائسهم والفتن التي أقاموها على النبي ﷺ وعلى المسلمين وقد تكرر ذكرهم في السور القرآنية كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم. وقد أوعدهم الله في كلامه أشد الوعيد ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم وجعل الغشاوة على سمعهم وعلى ابصارهم وإذهاب نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وفي الآخرة يجعلهم في الدرك الأسفل من النار.

وليس ذلك إلا لشدة المصائب التي أصابت الاسلام والمسلمين من كيدهم ومكرهم وانواع دسائسهم، فلم ينل المشركون واليهود والنصارى من دين الله ما نالوه، وناهيك فيهم قوله تعالى لنبيه ﷺ يشير اليهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (٤٢).

وقد ظهرت آثار دسائسهم ومكائدهم أوائل ما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فورد ذكرهم في سورة البقرة وقد نزلت - على ما قيل - على رأس ستة أشهر من الهجرة ثم في السور الاخر النازلة بعد بالاشارة إلى امور من دسائسهم وفنون من مكائدهم كأنسلابهم من الجند الاسلامي يوم أحد وهم ثلثهم تقريباً، وعقدهم الحلف مع اليهود وأستنهادهم على المسلمين وبنائهم مسجد ضرار وإشاعتهم حديث الافك، وإثارتهم الفتنة في قصة السقاية وقصة العقبة الى غير ذلك مما تشير اليه الآيات حتى بلغ امرهم في الافساد وتقليب الامور على النبي ﷺ إلى حيث هددهم الله بمثل قوله (٤٣) ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ (٤٤)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٤٥). ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني المنافقين ﴿فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَى

رَجِسِهِمْ والمراد من الرجس إما العقائد الباطلة أو الاخلاق المذمومة، فإن كان الاول كان المعنى انهم مكذبين بالسور النازلة قبل ذلك، والآن صاروا مكذبين بهذه السورة الجديدة، فقد أنضم كفر الى كفر، وإن كان الثاني، كان المراد أنهم كانوا في الحسد والعدواة وأستنباط وجوه المكر والكيد، والان ازدادت تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة.

والامر الثاني: انهم يموتون على كفرهم، فتكون هذه الحالة كالامر المضاد للاستبشار الذي حصل في المؤمنين، وهذه الحالة أسوأ وأقبح من الحالة الاولى، وذلك لأن الحالة الاولى عبارة عن ازدياد الرجاسة، وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكفر وموتهم عليه^(٤٦).

قال تعالى: **﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمًا أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**^(٤٧).

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ معناه: وليميز المؤمن من المنافق، لأن الله عالم بالاشياء قبل كونها، فلا يجوز أن يعلم عند ذلك مالم يكن عالماً به، إلا أن الله أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازاً أي: ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق (قيل لهم) أي: المنافقين **﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** قالوا: إن عبدالله بن أبي، والمنافقين معه من أصحابه، أنخذلوا يوم أحد نحواً من ثلاثمئة رجل، وقالوا: علام نقتل أنفسنا؟ وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الانصاري: تعالوا قاتلوا في سبيل، واتقوا الله، ولا تتخذلوا نبيكم. (أودفعوا) عن حريمكم وأنفسكم، إن لم تقاتلوا في سبيل الله. وقيل: معناه اقيموا معنا وكثروا سوادنا. وهذا يدل على أن تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد، وبمنزلت القتال. **﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾** يعني قال المنافقون:

لوعلمنا قتالاً لقاتلتناهم، قالوا ذلك إِبْلَاءٌ لَعذرهم في ترك القتال، والرجوع الى المدينة. فقال لهم: أبعدكم الله، الله يغني عنكم! وقيل: إنما القائل لذلك رسول الله، يدعوهم الى القتال، عن الاصم، ﴿هُمَ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾ يعني: بأظهار هذا القول، صاروا أقرب الى الكفر، إذ كانوا قبل ذلك في ظاهر أحوالهم أقرب الى الايمان حتى هتكوا الستر، فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموه. واللام بمعنى إلى، يعني: هم إلى الكفر أقرب منهم إلى الايمان، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي: إلى هذا. ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ذكر الأفواه تأكيداً لأن القول قد يضاف إليها. وقيل: إنما ذكر الأفواه فرقا بين قول اللسان، وقول الكتاب. والمراد به قولهم: لنعلم قتالاً لآتبعناكم. وإضمارهم أنه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم، ولم ينصروا النبي ﷺ. وقيل: معناه: يقولون بأفواههم من التقرب إلى الرسول والايان، ما ليس في قلوبهم، فإن في قلوبهم الكفر. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ أي: بما يضمرونه من النفاق والشرك^(٤٨).

بعد هذا البيان نشير الى موضوع مهم وهو: ان من الذين كانوا مع النبي ﷺ فيهم صفات النفاق بل فيهم من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه وكان يتربص بالرسول والرسالة، وان النفاق لا يجتمع مع العدالة وهنا يأتي نفي نظرية عدالة الصحابة القائلة: «اتفق اهل السنة على أن جميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، على حد تعبير ابن حجر العسقلاني، ويجب الاعتقاد بنزاهتهم، إذ ثبت أن الجميع من اهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار». وقال: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإيْمَانِ». ثم قال: «يدخل فيه ممن طالت مجالسته له او قصرت، ومن روي عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولم يجالسهُ، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيْمَانِ من لقيه كافراً ولو اسلم بعد ذلك... وألحق ابن حجر

مَنْ ارتد وتاب بعد رده ولو بسبب القتال، واستثنى من اسلم في عهد الرسول ﷺ من ارتد ومات على رده»^(٤٩). وجزاء من لا يعتقد بعدالة الصحابة بأقل اقوال أهل السنة «إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، والذين ينقصون أحداً على الإطلاق من أصحاب رسول الله هم زنادقة والجرح أولى بهم»^(٥٠) ومن عابهم أو أنتقصهم فلا تواكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه^(٥١).

دليل أهل السنة على نظرية عدالة الصحابة

استدلوا بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٥٢). وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٥٣). ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٤). وهناك آيات كثيرة يطول ذكرها، واحاديث يكثر تعدادها.

وتعني عدالة الصحابة ان كل من عاصر الرسول أو ولد في عصره، او شاهده، لا يجوز عليه الكذب والتزوير، ولا يجوز تجريحه. وهنا يأتي تساؤل: هل يعقل ان يكون العالم كاجاهل؟ والقاعد كالمجاهد؟ ومن اسلم عن قناعة كمن اسلم خوفاً؟ هل من المعقول أن يتساوى القاتل والمقتول؟ وهل يتساوى السابق باللاحق؟ والمنفق بالمقتر؟ والعاصي بالمطيع؟ وصادق الايمان بالمتظاهر؟ وأن يتساوى المؤمن والمنافق؟ ... إلخ؟ وكل الذين فعلوا الجرائم وارتكبوا الكبائر بحق الاسلام والمسلمين الرساليين من قتل الصحابة الربانيين وسم الامام الحسن بن علي ؑ وقتل الحسين بن علي ؑ وأصحابه كل هؤلاء محققين عدول مهتدين بحجة ان النبي ﷺ قد قال بزعمهم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم أهتديتم»^(٥٥).

وهذا الحديث ضعفه أئمة أهل الحديث فلا حجة فيه وطعن فيه ابن تيمية^(٥٦).
لانه لا الشرع يقبل هذه المساوات ولا العقل ولا المنطق، وهي ظلم صارخ وخلط
فظيح ينفر منه العقل وتأباه الفطرة الانسانية السليمة^(٥٧).

نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع نصوص القرآن القطعية

١. ظاهرة النفاق: شاعت ظاهرة النفاق في زمن النبي ﷺ وبرز المنافقون كقوة
حقيقية. ولا تقتصر ظاهرة النفاق على القول بل تتعداها الى العمل، فقد
كانوا يصلون وينفقون ويقدمون الأعدار إذا تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ
ويكررون مزاعمهم بالإيمان. إن سلوك الإنسان يعكس حقيقة اعتقاده، لكن
النوايا لله، والنبي ﷺ يعني بالظاهر والسلوك ويكل البواطن لله، وهو بطبيعته
رؤوف رحيم خلوق ونموذج الانسان الكامل ولكنهم تجاوزوا الحدود الآيات
القرآنية تنزل وتكشف حقائق هذه الفئة. منها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا
يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٥٨) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا
آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَمُدَّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٥٩)، وقوله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ
مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ
وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٦٠)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَعَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ﴾^(٦١)، وهناك آيات كثيرة لا يتناسب ذكرها مع هذا المختصر.

٢. نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية: كما انها تعارض القرآن الكريم كذلك تعارض السنة النبوية، والدليل على ذلك هو:

أ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقالوا: إنهم بنوا مسجداً تقرباً الى الله تعالى، وكانوا اثني عشر رجلاً من الصحابة المنافقين^(٦٢).

ب: لعن الرسول لبعض الصحابة. قال الحلبي صار عليه السلام يقول «اللهم العن فلاناً وفلاناً»^(٦٣)، وقال السيوطي وأخرج أحمد وابخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد «اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو واللهم العن صفوان بن أمية».

وقال السيوطي أخرج الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عمر قال: كان النبي يدعو على اربعة نفر وكان يقول في صلاة الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً»^(٦٤).

وأخرج نصر بن مزاحم المنقري عن عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله «اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيص» فقال ابن براء لأبيه: من الأقيص قال: «معاوية»^(٦٥) وأخرج نصر عن علي بن الأقرم في آخر حديثه قال: فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب» قلنا أنت سمعت رسول الله؟ قال: نعم وإلا فصمت أذناي^(٦٦).

٣. قزمان بن الحرث قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد قتال الابطال، فقال أصحاب النبي ما أجزأ عنا أحد كما أجزأ عنا فلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اما إنه من اهل النار)

لما أصابته الجراح وسقط، قيل له هنيئاً لك الجنة يا ابا الفيداق، قال جنة حرمل؟
والله ما قاتلنا إلا على الآحساب^(٦٧).

٤. الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس عم عثمان بن عفان ووالد مروان بن الحكم، لعنه رسول الله^(٦٨). ولعن ما في صلبه وقال «ويل لأمتي مما في صلب هذا»^(٦٩). ومن حديث عائشة أنها قالت لمروان: «أشهد أن رسول الله لعن اباك وانت في صلبه»^(٧٠). فنفاه النبي إلى مرج قرب الطائف وحرّم عليه أن يدخل المدينة، ولما التحق الرسول بالرفيق الأعلى راجع عثمان أبا بكر ليدخله فرفض أبو بكر، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخله فأبى عمر، ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معزراً مكرماً واعطاه مائة الف درهم^(٧١). نكتفي بهذه الاشارة المختصرة لهذا الموضوع.

المطلب الثالث

درجات النفاق

قد يتساءل البعض هل للنفاق درجات ومستويات؟ الجواب: نعم هناك مستويات ودرجات اوضحها الله لنا في الكتاب العزيز لأنه هو الذي يعلم الغيب وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٧٢). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٧٢).

الدرجة الأولى: الكفر

فاول درجات النفاق هو على مستوى الكفر، حيث جعل الله المنافقين والكافرين في درجة واحدة وجمعهم في مكان واحد، حسب قوله تعالى:

أولاً: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٧٢)، هذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وإن لم يباشر كان في الاثم بمنزلة المباشر بدليل أنه تعالى ذكر لفظ المثل ههنا، هذا اذا الجالس راضياً بذلك الجلوس، فأما اذا كان ساخطاً لقولهم وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر ليس كذلك، ولهذا الدقيقة قلنا بأن المنافقين الذين كانوا يجالسون اليهود، وكانوا يطعنون في

القرآن والرسول كانوا كافرين مثل اولئك اليهود، والمسلمين الذين كانوا بالمدينة كانوا بمكة يجالسون الكفار الذين يطعنون في القرآن فأنهم كانوا باقين على الايمان، والفرق أن المنافقين كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار، والمسلمين كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة. ثم إنه تعالى حقق كون المنافقين مثل الكافرين في الكفر فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٧٣). وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم، فيستهزئون به، فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه، وكان أحرار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين، فنهوا أن يقعدوا معهم، كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة، وكان الذين يُقعدون الخائضين بالقرآن من الاحبار هم المنافقين، ف قيل لهم: إنكم إذا مثل الاحبار في الكفر ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ يعني: القاعدين والمقعود معهم. (فإن قلت): الضمير في قوله: فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع؟ (قلت): إلى من دل عليه يكفر ويستهزأ بها، كأنه قيل: فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها. (فإن قلت): لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض؟ (قلت): لأنهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر. (فإن قلت): فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين؟ (قلت): لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم، وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم، فكان ترك الانكار لرضاهم^(٧٤).

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: في القرآن ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يكفر بها المشركون، والمنافقون، ويستهزئون بها ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي: مع هؤلاء المستهزئين الكافرين. ﴿حَتَّى يُخَوِّضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾ أي: حتى يأخذوا في حديث الاستهزاء بالدين. وقيل: حتى يرجعوا إلى الإيمان، وبتركوا الكفر والاستهزاء. والمنزل في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الانعام ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يُخَوِّضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾^(٧٥).

وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله، واستهزائهم بها، وعلى اباحت مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره.

وروي عن الحسن أن إباحة القعود مع الكفار، عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم، واستهزائهم بالقرآن، منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٧٦). ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ يعني إنكم إذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله، والهزء به، فأنتم مثلهم. وإنما حكم بأنهم مثلهم، لأنهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الإنكار، ولم يظهروا الكراهية لذلك، ومتى كانوا راضين بالكفر، كانوا كفاراً لأن الرضا بالكفر كافر^(٧٧).

ثانياً: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٧٨). فإن هؤلاء المنافقين وعدوا طائفة اليهود بامور ثلاثة، وجميعها كانت كاذبة:

١. إذا أخرجتم من هذه الارض فإننا سوف لن نبقى بعدكم نتطلع إلى خواء اماكنكم ودياركم.
٢. إذا صدر أمر ضدكم من أي شخص، وفي أي مقام، وفي أي وقت، فإن موقفنا الرفض له وعدم الإستجابة.
٣. إنه إذا وصل الأمر للقتال فإننا سوف نقف إلى جانبكم ولا نتردد في نصرتكم أبداً.

نعم، هذه الوعود التي أعطاها المنافقون لليهود قبل هذا الحادث، إلا أن الحوادث اللاحقة أوضحت كذب إدعاءاتهم ووعودهم. ولهذا السبب يقول القرآن الكريم بصراحة ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. كم هو تعبير رائع ومثير ومقترن بتأكيدات

عديدة، من شهادة الله عز وجل، وكون الجملة إسمية، وكذلك الاستفادة من (إن) واللام للتأكيد، وكلها تفيد أن الكذب والنفاق ممتزجان بهم لحد لا يمكن فصلهما، لقد كان المنافقون كاذبين دائماً، والكاذبون منافقين غالباً. والتعبير بـ (إخوانهم) يوضح لنا طبيعة العلاقة الحميمة جداً بين (المنافقين) و (الكفار) كما ركزت الآيات السابقة على علاقة الأخوة بين المؤمنين، مع ملاحظة الاختلاف بين الفصيلتين، وهو أن المؤمنين صادقون في أخوتهم لذلك فهم لا يتبرمون بكل ما يؤثرون به على أنفسهم، على عكس المنافقين حيث ليس لهم وفاء أو مواساة بعضهم لبعض، وتبين حقيقتهم بصورة أوضح في اللحظات الحرجة حيث يتخلون عن أقرب الناس لهم، بل حتى عن إخوانهم، وهذا هو محور الاختلاف بين نوعين من الاخوة، أخوة المؤمنين وأخوة المنافقين، وجملة: ﴿وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ تشير إلى موقف المنافقين الذي أعلنوه لليهود بأنهم سوف لن يراعوا التوصيات والإنذارات التي أطلقها رسول الله ﷺ فيهم.

ثم.. للإيضاح والتأكيد الأكثر حول كذب المنافقين يضيف سبحانه: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾، ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾، ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارَ﴾، ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (٧٩).

إنّ اللحن القاطع والقوي لهذه الايات قد ادخل الرعب والهلع في قلوب المنافقين واقلق بالهم. وبالرغم من أن الاية نزلت في مورد معين، إلا أنها - من المسلم - لا تختص به، بل أصل عام في علاقة المنافقين مع سائر أعداء الإسلام، بالإضافة إلى الوعود الكاذبة التي يمنحها كل منهم للآخر، وتقرر بطلان وخواء كل هذه الروابط والوعود. ولا يختص هذا الامر بما حدث تاريخياً في صدر الاسلام، بل إننا نلاحظ اليوم بأعيننا نماذج وصوراً حيّة لا تحفى على أحد، في طبيعة تعامل

المنافقين مع مختلف الفصائل المعادية للإسلام، ومن المسلم أن المؤمنين الصادقين إذا التزموا بواجباتهم فإنهم سينتصرون عليهم، ويحبطون خططهم.

الدرجة الثانية: الشرك

بل المنافق اسوء واخطر من المشرك، بعد ان عرفنا ان الكفر هو الانكار والجحود المطلق، فقال ابن منصور في الشرك بالله: وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه، تعالى الله عن ذلك، والاسم الشُّركُ. قال الله تعالى حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. والشرك: أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والانداد^(٨٠).

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٨١).

تقديم المنافقين والمنافقات على المشركين والمشركات في الآية لكونهم أضر على المسلمين من أهل الشرك ولأن عذاب أهل النفاق أشد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ السوء بالفتح فالسكون، مصدر بمعنى القبح، والسوء بالضم اسم مصدر، وظن السوء هو ظنهم أن الله لا ينصر رسوله، قيل: المراد بظن السوء ما يعتم ذلك وسائر ظنونهم السيئة من الشرك والكفر. وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم أو قضاء عليهم أي ليستصروا بدائرة السوء التي تدور لتصيب من تصيب من الهلاك والعذاب. وقوله: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ معطوف على قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، وقوله: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ بيان مساة مصيرهم، كما أن قوله: ﴿وَكَانَ

ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٨٢﴾ بيان لحسن مصير أهل الإيمان (٨٢). وقد نبّه القرآن الكريم بخطرورة هذه الفئة بقوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٣). أي هم الاعداء الواقعيون. المنحرفون عن الحق الذين لعنهم الله وذمهم بشدة.

الدرجة الثالثة: طبع الله على قلوبهم وختم عليها

أولاً: قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٤) المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم، فما معنى قوله تعالى: ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ نقول: قال في (الكشاف) ثلاث أوجه أحدها: ﴿آمَنُوا﴾ نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾، ثم ظهر كفرهم بعد ذلك، وثانيها: ﴿آمَنُوا﴾ نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾، وثالثها: أن يراد أهل الذمة منهم.

الطبع على القلوب لا يكون إلا من الله تعالى، ولما طبع على قلوبهم لا يمكنهم أن يتدبروا ويستدلوا بالدلائل، ولو كان كذلك لكان هذا حجة لهم على الله تعالى، فيقولون: إعراضنا عن الحق لغفلتنا، وغفلتنا بسبب أنه تعالى طبع على قلوبنا، فنقول: هذا الطبع من الله تعالى لسوء أفعالهم، وقصدتهم الاعراض عن الحق، فكانه تعالى تركهم في أنفسهم الجاهلية وأهوائهم الباطلة (٨٥).

والطبع على القلب جعله بحيث لا يقبل الحق ولا يتبعه فلا محالة يتبع الهوى كما قال تعالى: ﴿طُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٨٦) فلا يفقه ولا يسمع ولا يعلم كما قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٧). وقال: ﴿وَنَطَّبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٨٨). وقال: ﴿وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩).

والطبع على أي حال لا يكون منه تعالى إلا مجازاة لأنه إضلال والذي ينسب إليه تعالى من الإضلال إنما هو الإضلال على سبيل المجازاة دون الإضلال الابتدائي وقد مرّ مراراً^(٩٠).

ثانياً: قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٩١).

أجهزة استقبال الحقائق معطوبة عند هؤلاء... العين التي يرى المتقون فيها آيات الله، والأذن التي يسمعون بها نداء الحق، والقلب الذي يدركون به الحقائق، كلها قد تعطلت وتوقفت عن العمل عند هؤلاء، لهم عيون وآذان وعقول، ولكنهم يفتقدون قدرة (الرؤية) و (الادراك) و (السمع). لأن انغماسهم في الانحراف وعنادهم ولجاجهم، كلها عناصر تشكل حجاباً أمام أجهزة المعرفة.

الانسان قابل للهداية طبعاً - إن لم يصل إلى هذه المرحلة - مهما بلغ به الضلال أمّا حينما يبلغ في درجة يفقد معها حسّ التشخيص (فلات حين نجاة) لأنه أفنقد أدوات الوعي والفهم، ومن الطبيعي ان يكون في انتظاره عذاب عظيم^(٩٢).

في اللغة (خَتَمَ) الإناء بمعنى سدّه بالطين أو غيره، وأصلها من وضع الختم على الكتب والابواب كي لا تُفتح، والختم اليوم مستعمل في الإستيثاق من الشيء والمنع منه كختم سندات الأملاك والرسائل السرية الهامة. وهناك شواهد من التاريخ تدلّ على أن الملوك وأرباب السلطة كانوا سابقاً يخبثون صرر الذهب أو الرسائل بخاتمهم الخاص ويبعثون بها إلى المنظرين للاطمئنان على سلامة الصرر وعدم التلاعب في محتوياتها. والشائع في هذا الزمان الختم على الطرود البريدية أيضاً، وقد استعمل القرآن كلمة (الختم) هنا للتعبير عن حال الاشخاص المعاندين الذين تراكمت الذنوب والآثام على قلوبهم حتى منعت كلمة الحق من النفوذ إليها كالختم

لا سبيل إلى فتحه^(٩٣). قال الراغب: «الختمُ والطبعُ يقال على وجهين: مصدرٌ ختمتُ وطبعتُ، وهو تأثيرُ الشيءِ كَنقشِ الخاتمِ والطَّابعِ. والثاني: الأثرُ الحاصِلُ عَنِ النِّقْشِ، وَيَتَجَوَّزُ بِذَلِكَ تَارَةً فِي الْاسْتِثْنَاءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْمَنْعُ مِنْهُ اعْتِبَارًا بِمَا يَحْصُلُ مِنَ الْمَنْعِ بِالْخْتَمِ عَلَى الْكُتُبِ وَالْأَبْوَابِ»^(٩٤) نحو: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٩٥)، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾^(٩٦).

والطبع: أن تُصَوِّرَ الشَّيْءَ بِصُورَةٍ مَا، كَطَبْعِ السِّكَّةِ وَطَبْعِ الدَّرَاهِمِ، وَهُوَ أَعْمٌ مِنَ الْخْتَمِ وَأَخْصٌ مِنَ النِّقْشِ، وَالطَّابِعُ وَالْخَاتَمُ: مَا يُطْبَعُ وَيُخْتَمُ. وَالطَّابِعُ: فَاعِلٌ ذَلِكَ، وَقِيلَ لِلطَّابِعِ طَابَعٌ، وَذَلِكَ كَتَسْمِيَةِ الْفِعْلِ إِلَى آلَاتِهِ، نَحْوُ: سَيْفٌ قَاطِعٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٩٧)، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{(٩٨)(٩٩)}.

الدرجة الرابعة: انغلاق القلوب وأقفالها

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١٠٠)، الاستفهام للتوبيخ وضمير الجمع راجع إلى المذكورين في الآية السابقة، وتنكير (القلوب) كما قيل للدلالة على أن المراد قلوب هؤلاء وأمثالهم^(١٠١).

(الأقفال) جمع قفل، وهي في الاصل من مادة القفول أي الرجوع، أو من القفيل، أي الأشياء اليابسة، ولما كان المتعارف أنهم إذا أغلقوا الباب وقفلوها بقفل، فكل من يأتي يقفل راجعاً، وكذلك لما كان القفل شيئاً صلباً لا ينفذ فيه شيء، ولذا فقد أطلقت هذه الكلمة على هذه الآلة الخاصة.

(التدبر) من مادة دبر وهو تحقيق وبحث نتائج الشيء وعواقبه، بعكس (التفكر) الذي يقال غالباً عن علل الشيء وأسبابه، واستعمل كلا التعبيرين في القرآن.

إنَّ عامل مسكنة هولاء وضياعهم أحد اثنين: إمَّا أنَّهم لا يتدبَّرون في القرآن، برنامج الهداية الالهية، والوصفة الطبية الشافية تماماً، أو أنَّهم يتدبَّرونه، إلَّا أنَّ قلوبهم مقللة نتيجة اتباع الهوى والاعمال التي قاموا بها من قبل، وهي مقللة بشكل لا تنفذ معه أي حقيقة إلى قلوبهم. لأن القلوب إذا كانت مقللة بأفعال الهوى والشهوة، والكبر والغرور، واللجاجة والتعصب، فسوف لا يلجها نور الحق. وهذه الاية ذكرت العلة الحقيقية لإنحراف هؤلاء القوم التعساء^(١٠٢).

الدرجة الخامسة: قسوة قلوبهم

يمتاز المنافق بالقسوة والغلظة، قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(١٠٣) من الكفر أو النفاق، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الذين تحجرت قلوبهم بالجهل والتخلف حتى لم تعد تنفتح على شيء وتجمدت مشاعرهم بالغلظة والقسوة، حتى لم تعد تنبض بالرحمة والخير، وذلك بسبب هذه الأجواء التي تثيرها الطبيعة الأيحيائية لحركة النبي ﷺ في الساحة، فهي أجواء تجعل العزّة بالإثم تأخذهم من جهة، باعتبار أقوال النبي تلك مظهر قوّة لهم لما توحى به من تنازلات لحسابهم، أو تجعلهم يتحركون في طريق الفتنة لإضلال المؤمنين عن دينهم... ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ وذلك في ما يثيرونه من الفوضى والخصومة والجدل، ليربكوا به الساحة، وليعطلوا حركة المستضعفين في اتجاه الحق والعدل والفلاح، وبذلك تتحول أوضاعهم إلى مواقع للشحناء والبغضاء والتفرق والتمزق الذي يمتد الى ابعـد الحدود التي تسمح بها وسائلهم وأوضاعهم وظروفهم الفكرية والعملية^(١٠٤) (القاسية) مشقة من (القسوة) وتعني الخشونة والصلابة والتحجر، لذلك تطلق صفة (قاسية) على الاحجار الصلبة، يقال للقلوب التي لا تظهر أي استجابة لنور الحق والهداية، ولا تلين ولا تستسلم لها،

ولا تسمح بنفوذ نور الحق والهداية إليها (قلوب قاسية)^(١٠٥). فان الذين صدورهم ضيقة وأفكارهم محدودة لا يمكنها أحياناً استيعاب أي حقيقة، وكأن عقولهم محاطة بجدران فولاذية لا يمكن اختراقها. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١٠٦).

الدرجة السادسة: صدأ القلوب

هذا الصدأ الذي يسطر على عقولهم بما يشبه الحاجز عن الايمان.

أولاً: قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٠٧) ما أشد تقريع العبارة! فقد احتوى صدأ أعمالهم كل قلوبهم، فأزيل عنها ما جعل الله فيها من نور الفطرة الأولى وذهب صفاتها، ولذا، فلا يمكن لشمس الحقيقة أن تشرق بعد في أفق قلوبهم، ولا يمكن لتلك القلوب التعسة من أن تتقبل نفوذ أنوار الوحي الإلهي إلى دواخلها.

(ران): من (الرين) على وزن (عين)، وهو: الصدأ يعلو الشيء الجليل (كما يقول الراغب في مفرداته)، ويقول عنه بعض أهل اللغة: إنه قشرة حمراء تتكون على سطح الحديد عند ملامسته لرطوبة الهواء، وهي علامة لتلفه، وضياع بريقه وحسن ظاهره.

ثانياً: حجاب الروح وإنقلاب الموازين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(١٠٨) من الثابت في علم النفس، أن للأعمال الأثر الكبير على نفسية وروحية الإنسان، فنفسية الانسان تتكيف تدريجياً على ضوء تلك الآثار، وبالنتيجة سينعكس ذلك على فكر وآراء الانسان. وان روح الانسان تتعامل طردياً مع الذنوب، فمع استمرار الذنوب تغوص الروح في اعماق الظلام لحظة بلحظة، حتى تصل إلى درجة يبدأ

الانسان يرى سيئاته حسنات، وربما يتفاخر بها!! وعندها، ستنغلق أمامه أبواب العودة: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وهذه الحال أخطر ما يتعرض للإنسان في حياته الدنوية من حالات. فهؤلاء محبوبون عن ربهم، عن إحسانه، وكرامته، وثوابه، وعن كل الطافه التي ينعم بها الصالحون من عباده^(١٠٩).

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١١٠) فأثر ما تقترفه الجوارح من ذنوب تصل إلى القلب وتحوله إلى مستنقع آسن، وعندها لا يقوى الإنسان على تشخيص طريق خلاصه، فيهوى في حفر الضلالة التي توصله لأدنى دركات الإنحطاط، وتكون النتيجة حينها إلا الخيبة والحسران^(١١١).

الدرجة السابعة: الشك والتردد

وذلك لأنهم لا يملكون وضوح الرؤية للخط الذي يربط مسألة الجهاد بالله وحركة الإيمان في الوجدان، بحركة الانسان في الحياة، ولهذا كانوا يعيشون القلق مع كل دعوة للخير، والحيرة مع كل انطلاقة للجهاد. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(١١٢)، وقوله (وارتابت قلوبهم) يدل على أن محل الريب هو القلب، ومتى كان محل الريب هو القلب كان محل المعرفة، والإيمان هو القلب، لأن محل أحد الضدين يجب أن يكون هو محلاً للضد الآخر، ولهذا السبب قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(١١٣) وإذا كان محل المعرفة والكفر القلب، كان المثاب والمعاقب في الحقيقة هو القلب والبواقي تكون تبعاً له. وقوله: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ معناه أن الشاك المرتاب يبقى متردداً بين النفي والإثبات، غير حاكم بأحد القسمين ولا جازم بأحد النقيضين، وتقريره: أن الاعتقاد إما أن يكون جازماً أولاً يكون، فالجازم

إن كان غير مطابق فهو الجهل وإن كان مطابقاً، فإن كان غير يقين فهو العلم، وإلا فهو اعتقاد المقلد وإن كان غير جازم، فإن كان أحد الطرفين راجحاً فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وإن اعتدل الطرفان فهو الريب والشك، وحينئذ يبقى الإنسان متردداً بين الطرفين^(١١٤).

... الخاتمة ...

في ختام البحث نصل الى جذور النفاق ونشأته في مكة المكرمة وأهدافه وغاياته من اختراق الدعوة الاسلامية في بداياتها، وربما ترى موقف من المنافق يدافع عن الرسالة الاسلامية ويقدم بعض المؤنات أو يؤدي واجبات الإيمان الذي لم يخلص إلى قلبه، وذلك لغاية في نفسه يروم تحقيقها ولو بعد حين. وقد تحقق ذلك بانقلابهم على الشرعية من حين أغماض عين الرسول الأعظم ﷺ، الذي ألحق بالامة الضرر من التمزق والتشرذم والانحراف، ولهذا غاب خبر النفاق وأصبح الكل صحابة عدول! وان ظاهرة النفاق ليست محصورة في زمن الرسالة، وإنما هي عامة تظهر بشكل وآخر في كل المجتمعات وفي مختلف العصور والازمان. فهم يعيشون ازدواجية الموقف بين ما يضمرونه في داخل أنفسهم وما يظهرونه أمام الناس، مما يجعل من أكتشافهم ومعرفتهم عملية معقدة لأنها تحتاج إلى رصد دقيق لأقوالهم وأفعالهم لمواجهة العوامل القلقة التي تتحرك في سلوكهم الحياتي العام والخاص.

خلاصة البحث

قدم الباحث ثلاثة مطالب تناول في المطاب الاول: معنى النفاق لغةً واصطلاحاً. وفي المطلب الثاني: بداية مرحلة الصراع بين الرسول والرساليين من جهة والمشركين من جهة اخرى، وحينما عجزت قريش عن مواجهة النبي ﷺ بكل اساليبها، توجهت الى اسلوب اخر، لهدم وتخطيم الدعوة من الداخل ولوبعد حين، فدخل المنافقون في صفوف المسلمين وأظهروا الاسلام في مكة قبل الهجرة، وقد

اشار القرآن الكريم لذلك في سورتي المدثر والعنكبوت وكلاهما مكيتين. وهذا رد صريح على من ينفي النفاق في مكة ويدعي انه بدأ بعد الهجرة في المدينة المنورة. نعم في المدينة شاعت ظاهرة النفاق وبرز المنافقون كقوة لا تقتصر على القول بل تتعداها الى العمل. وقد هددوا الرسالة بدهائهم ومكرهم حتى حذر القرآن الكريم من مخاطرتهم، وقد أثبت البحث ان جذور هذه الحركة النفاقية بدأت في مكة وفي بداية الدعوة الاسلامية وقد ثبت ذلك بالدليل القرآني والبرهان العقلي. وفي المطلب الثالث: ذكر الباحث درجات النفاق وقسمها الى سبع درجات ثم الخاتمة ومصادر البحث.

١. مفردات الراغب الاصفهاني، مادة نفاق، منشورات طليعة النور، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ جري.
٢. ٢-لسان العرب، العلامة ابن منظور، ٣٥٩/١٠، نشر أدب الحوزة، ايران، قم ١٤٢٥هـ جري.
٣. ٣-روح البيان، ابو الفداء اسماعيل بن حقي البروسوي ٥٢٩/٩/ دار القلم بدمشق، ط٢، ١٤٠٩هـ جري-١٩٨٩م.
٤. عبد الرحمن بن علي بن حسن العرومي.
٥. علامة للمنافق، نشر دار الايمان، مصر (الاسكندرية) بدون تاريخ.
٦. النهاية، ابن الاثير، مادة نفاق، دار الكتب العلمية، ط٤، بيروت، لبنان ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٧. سورة المنافقين: ١.
٨. سورة النساء: ٨٩.
٩. التفسير لكبير، الفخر الرازي، ٤٢٢/٣، دار أحياء التراث العربي، ط٤، بيروت، لبنان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٠. تاريخ يعقوبي، ٢/٢٤، دار الصادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
١١. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، ١/١٣٦، المكتبة العصرية، ط١، بيروت ٢٠١١م. وتاريخ الطبري، ابن جرير الطبري ٢/٧٠، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٢. سورة الحجرات: ٩٤-٩٥.
١٣. الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٦٦/٢، دار الكتب العلمية، ط٤، بيروت، لبنان ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٤. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام ١٦٧/١، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، لبنان ٢٠١١م.
١٥. نفس المصدر ١٦٦.
١٦. الكامل في التاريخ ٦٩/٢.
١٧. نفس المصدر ٤.
١٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير ١٥٣/٧ دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت ٢٠٠٨م.
١٩. الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٧/٢، دار صادر، ط١، بيروت، لبنان ١٩٦٨م.
٢٠. سيرة النبوية، ابن هشام ١٦٦/١، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، لبنان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٢١. الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٦٦/٢ دار الكتب العلمية، ط٤، بيروت، لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٢٢. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري ٧/٢، مؤسسة الاعلمي ط١، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٢٣. انظر السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام ١٧٤/١، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، لبنان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٢٤. تاريخ يعقوبي ٥٦/٢، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٢٥. الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٨٧/٢، والسيرة النبوية ١/١٨٧.
٢٦. تاريخ يعقوبي، يعقوبي ٣٢/٢.
٢٧. سورة المدثر: ٣١.
٢٨. تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب ١٧٣/٦، دار الشروق، ط١٧، بيروت، لبنان ٢٠٠٣م.
٢٩. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ٩٠/٢٠، مؤسسة الاعلمي، ط٢، بيروت، لبنان ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ١٠/١٨٢، مؤسسة الاعلمي، ط١، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣١. التفسير الكبير، الفخر الرازي ٧١٢/١٠.
٣٢. سورة العنكبوت: ١٠-١١.

٣٣. مجمع البيان في تفسير القرآن ٨/ ١١-١٣٠١.
٣٤. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسن الطباطبائي ١٦/ ١، ٧-١.
٣٥. الكشاق، ابي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري ٣/ ٤٧٧، مكتبة مصر، بدون تاريخ.
٣٦. محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج القرطبي والمحقق سامي بن محمد بن سلامة ومحمود بن عمر الزمخشري والفخر الرازي والفضل بن الحسن الطبرسي ومحمد حسين الطباطبائي وناصر مكارم الشيرازي وغيرهم.
٣٧. التفسير الكبير، الفخر الرازي ٩/ ٢٣٠٠.
٣٨. جلال الدين السيوطي في تفسير الدر المنثور ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار وسيد قطب في ظلال القرآن وغيرهم.
٣٩. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٢/ ٣٤٧، مدرسة الامام علي عليه السلام، ايران، قم ١٤٢١هـ.
٤٠. المصدر نفسه.
٤١. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ١٩/ ٢٨٨-٢٨٩.
٤٢. سورة المائدة: ٥٤.
٤٣. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ١٩/ ٢٨٩-٢٩٠.
٤٤. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١/ ٩٧.
٤٥. سورة المنافقين: ٤.
٤٦. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي ١٩/ ٢٨٧-٢٨٨.
٤٧. سورة الاحزاب: ٦٠-٦١.
٤٨. سورة التوبة: ١٢٥.
٤٩. التفسير الكبير، الفخر الرازي ٦/ ١٧٤.
٥٠. سورة آل عمران، ١٦٧.
٥١. مجمع البيان في تفسير القرآن، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ٢/ ٤٣٧-٤٣٨.
٥٢. الإصابة في تميز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ١/ ١٦٢، دار الجليل، ط١، بيروت، لبنان ١٤١٢هـ.
٥٣. الإصابة في تميز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ١/ ١٨.
٥٤. كتاب الكبائر، شمس الدين الذهبي ١/ ٢٥١، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ.
٥٥. سورة الفتح: ١٨.

- ٥٦ . سورة التوبة: ١٠٠ .
- ٥٧ . سورة الانفال: ٦٤ .
- ٥٨ . الأحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ٦/ ٢٥٢، دار الافاق الجديدة، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٨٣ م.
- ٥٩ . رفع الملام عن الأئمة الأعلام، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ١٣٦، دار الوفاء، ط٢، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ.
- ٦٠ . نظرية عدالة الصحابة، المحامي الاستاذ أحمد حسين يعقوب ٢٠-٢٢ .
- ٦١ . سورة البقرة: ٨- ١٠ .
- ٦٢ . سورة البقرة: ١٤-١٦ .
- ٦٣ . سورة التوبة : ٥٤ .
- ٦٤ . سورة التوبة: ٤٧ .
- ٦٥ . روح الذهب، علي بن الحسين المسعودي ٢/ ٢٨٣، دار الفكر، ط١، بيروت، لبنان ٢٠٠٠ م.
- ٦٦ . السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي ٢/ ٤٥٦ دار المعرفة، ط١، بيروت، لبنان ١٩٧٨ م.
- ٦٧ . الدر المشور، جلال الدين السيوطي ٦/ ٧١ دار الفكر، ط١، بيروت، لبنان ١٩٨١ م.
- ٦٨ . وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري ٢١٧، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، ط١، بيروت، لبنان ١٤١٠ هـ.
- ٦٩ . الاصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٣/ ٢٣٥ .
- ٧٠ . نفس المصدر.
- ٧١ . كنز العمال، علاء الدين بن حسام الدين المتقي الهندي ٦/ ٩٠، مؤسسة الرسالة، ط٥، بيروت، لبنان ١٩٨١ م.
- ٧٢ . أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابنثير ٢/ ٣٤ .
- ٧٣ . الاستيعاب في معرفة الاصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٢/ ٧٨، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٩٥ .
- ٧٤ . مروج الذهب، علي بن الحسن المسعودي ٢/ ٣٣٣ .
- ٧٥ . سورة فاطر: ٣٨ .
- ٧٦ . سورة ق: ١٦ .
- ٧٧ . سورة النساء: ١٤٠ .
- ٧٨ . التفسير الكبير، الفخر الرازي ٤/ ٢٤٧ .

٧٩. الكشاف، ابي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ١/٥٠٢.
٨٠. سورة الانعام: ٦٨.
٨١. سورة الانعام: ٦٨.
٨٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي ٣/٢١٧.
٨٣. سورة الحشر: ١١.
٨٤. سورة الحشر: ١٢.
٨٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي ١٠/٤٤٩.
٨٦. سورة الفتح: ٦.
٨٧. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ١٨/٢٦٣.
٨٨. سورة المنافقين: ٤.
٨٩. سورة المنافقين: ٣.
٩٠. التفسير الكبير، الفخر الرازي ١٠/٥٤٦.
٩١. سورة محمد: ١٦.
٩٢. سورة التوبة: ٨٧.
٩٣. سورة الأعراف: ١٠٠.
٩٤. سورة التوبة: ٩٣.
٩٥. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ١٩/٢٨٠.
٩٦. سورة البقرة: ٧.
٩٧. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١/٨٦.
٩٨. نفس المصدر ٨٩.
٩٩. مفردات ألفاظ القرآن، مادة ختم، العلا الراغب الاصفهاني، ايران، قم، ط ١، ١٤٢٦هـ.
١٠٠. سورة البقرة: ٧.
١٠١. سورة الجاثية: ٢٣.
١٠٢. سورة المنافقين: ٣.
١٠٣. سورة الروم: ٥٩.
١٠٤. مفردات الفاظ القرآن، مادة طبع، العلامة الراغب الاصفهاني.
١٠٥. سورة محمد: ٢٤.
١٠٦. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ١٨/٢٤١.

١٠٧. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٦/٣٧٧-٣٧٨،
(بتصرف).
١٠٨. سورة الحج: ٥٣.
١٠٩. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي ١٠/٣٧٤ (بتصرف).
١١٠. نفس المصدر ١٥/٥٧.
١١١. سورة الزمر: ٢٢.
١١٢. سورة المطففين: ١٤.
١١٣. سورة المطففين: ١٤-١٥.
١١٤. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي ٢٠/٢٧-٣٠.
١١٥. نفس المصدر: ٢٢.
١١٦. سورة الحج: ٤٦.
١١٧. سورة التوبة: ٤٥.
١١٨. سورة المجادلة: ٢٧.
١١٩. التفسير الكبير، الفخر الرازي ٦/٦١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. أبْنُ مَنْظَرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ، لِسَانِ الْعَرَبِ، نَشْرُ أَدَبِ الْحَوْزَةِ، قَم، إِيرَانَ، ١٤٠٥هـ.
 ٢. أَبْنُ الْأَثِيرِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، النِّهَايَةُ (مَادَةٌ نَفَقُ) دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط٤، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ ٢٠٠٦م.
 ٣. أَبْنُ الْأَثِيرِ، عَزَّالِدِينُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْكَرَمِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط٤، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ ٢٠٠٦م.
 ٤. أَبْنُ الْأَثِيرِ، عَزَّالِدِينُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْكَرَمِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَسَدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط٣، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، ٢٠٠٣م.
 ٥. أَبْنُ سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى، دَارُ صَادِرٍ، ط١، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، ١٩٦٨م.
 ٦. أَبْنُ تَيْمَةَ الْحِرَانِيِّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ، رَفَعُ الْمَلَامِ عَنِ الْأَيْمَةِ الْإِعْلَامِ، دَارُ الْوَفَاءِ، ط٢، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ ١٤١٣هـ.
 ٧. أَبْنُ هِشَامٍ الْمُعَاوَرِيُّ، أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ، السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، ط١، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ ٢٠١١م.
 ٨. أَبْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدٍ، الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِزِ الصَّحَابَةِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، ١٤١٥هـ.
 ٩. أَبْنُ حَزْمٍ الْمَنْقَرِيُّ نَصْرُ بْنُ مِزَاحِمٍ، وَقْعَةُ صَفِينِ، دَارُ الْجَيْلِ، ط١، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، ١٤١٠هـ.
 ١٠. أَبْنُ جَرِيرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، مَوْسُئَةُ الْإِعْلَامِيِّ، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، بَدُونِ تَارِيخٍ.
 ١١. أَبُو لِقَاسِمِ الْحَسِينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُفْضَلِ الرَّاعِبِ الْإِصْفَهَانِيِّ، كِتَابُ الْمَفْرَدَاتِ، (مَادَةٌ نَفَقُ) الدَّارُ الشَّامِيَّةُ، ط١، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، ١٤٢٦هـ.
 ١٢. أَبُو الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَقِيِّ الْبُرُوسِيِّ، رُوحُ الْمَعَانِي، دَارُ الْقَلَمِ، دِمَشْقُ، ط٢، ١٩٨٩م.
 ١٣. أَبِي مَنْصُورٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ الطَّبْرَسِيِّ، مَجْمَعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، مَوْسُئَةُ الْإِعْلَامِيِّ، ط١، بِيْرُوتَ - لِبْنَانَ، ١٤١٥هـ.
 ١٤. أَبِي الْقَاسِمِ جَارِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَخْشَرِيِّ، الْكِشَافُ، مَكْتَبَةُ مِصْرَ، بَدُونِ تَارِيخٍ.
 ١٥. أَحْمَدُ حَسِينُ يَعْقُوبُ، نَظْرِيَّةُ عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ وَالْمَرْجِعِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ.
 ١٦. أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبٍ، تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ، دَارُ صَادِرٍ، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، بَدُونِ تَارِيخٍ.

١٧. جلال الدين السيوط، تفسير الدر المنثور، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان ١٩٨١م.
١٨. سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق، ط٧، بيروت، لبنان ٢٠٠٣م.
١٩. شمس الدين الذهبي محمد بن احمد بن عثمان، كتاب الكبائر، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، لبنان ١٤٢هـ.
٢٠. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسر القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط١، بيروت، لبنان ١٩٩٥م.
٢١. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان ١٩٨٩م.
٢٢. محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي، التفسير الكبير، دار أحياء التراث العربي، ط٤، بيروت، لبنان ٢٠٠١م.
٢٣. محمد بن أحمد بن بكر القرطبي، تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
٢٤. علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، دار الفكر، ط١، بيروت، لبنان ٢٠٠٠م.
٢٥. علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، دار المعرفة، ط١، بيروت، لبنان ١٩٧٨م.
٢٦. علاء الدين بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، ط٥، بيروت، لبنان ١٩٨١م.
٢٧. ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في كتاب الله المنزل، مدرسة الامام علي عليه السلام، ط١، قم، ايران ١٤٢١.
٢٨. يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٩٥م.